محاضرة بعنوان: الفلسفة البراجماتية

من إعداد: د. شافية بن حفيظ

تمهيد: يطلق على الفلسفة البراجماتية، الفلسفة العلمية أو النفعية أو الاجرائية أو التجريبية وتعتبر هذه الفلسفة بنظرتها ومبادئها التي تتبناها ثورة على كل الفلسفات التي سبقتها والتي تؤمن بالأمور النظرية والتأمل العقلي من أجل الوصول لمعرفة الحياة والحقائق والوجود، ويرى أصحاب هذه الفلسفة أن الحقيقة تعرف بالتجربة، وهي تؤمن بالأسلوب العلمي، وبالعقل تحل المشكلات وكذلك باستخدام التجريب والطرق العلمية الصحيحة.

1- مؤسس الفلسفة البراجماتية: يعتبر "جون دوي" من أبرز ممثلي ومؤسس الفلسفة البراجماتية، ولد "دوي" في مدينة "بور لنجتن" ولاية "فيرمونت" سنة 1859 وقد تلقى تعليمه الابتدائي إلى الجامعي في ولايته حيث درس الفلسفة والعلوم السياسية والتاريخ، تحصل على الدكتوراه في جامعة "جون هو بكنز" سنة 1884، وقد نال شهرة فائقة كفيلسوف ومفكر ومصالح تربوي كبير في الولايات المتحدة وفي كل العالم، ومن أبرز أعماله في الميدان التربوي إنشاؤه لمدرسته النموذجية في مدينة "شيكاغو" 1896 وقد اتخذها حقلاً لتجربة نظرياته وآرائه التقدمية في التربية، وقد كان لهذه المدرسة أثراً بالغاً في التمهيد للتربية التقدمية التي سادت في أمريكا في النصف الأول من القرن العشرين. (سامي، 2008، ص 90)

و"جون دوي" العديد من الكتب في الفلسفة ومئات المقالات وفي عام (1902) ضمت هذه المدرسة لجامعة "شيكاغو" لتكون مدرسة تطبيقية نموذجية ومن بين مبادئها:

- اتصال خبرات التلاميذ في المدرسة بخبراتهم خارج المدرسة.
- جعل الأطفال يتعلمون عن طريق خبراتهم ونشاطهم الذاتي.
- الاتصال والتعاون بين المدرسة والبيت.
- وجوب احترام ميول التلاميذ وحاجاتهم وحريرتهم في التعبير عن أنفسهم.
- وجوب مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ.
- اعتبار عملية التربية عملية اجتماعية، والتركيز على التعاون بدل التنافس.

لقد ترك "دوي" العديد من الكتب في الفلسفة ومئات المقالات منها: المدرسة والمجتمع، والخبرة والطفل، والديمقراطية والتربية، والطفل والمنهج، وكيف نفكر، الطبيعة البشرية والتربية. (صباحي، 2018، ص74)

6-2- دعائم النظرية التربوية عند جون ديوي : وتتلخص كالآتي:

- التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري وبمقتضاها يصبح الفرد وريثا لما حصلته الانسانية من حضارة .
- تتم هذه التربية لا شعوريا عن طريق المحاكات بحكم وجود الفرد في المجتمع وتنتقل الحضارة من جيل الي جيل.
- التربية المقصودة تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ومطالب المجتمع من جهة اخرى.

6-3- وظائف المدرسة في المجتمع:

- تهيئة بيئة بسيطة يفهم الطفل منها الحياة الاجتماعية .
- خلق مجتمع للناشئ مصفى من الشوائب.
- اقرار التوازن بين عناصر البيئة الاجتماعية.
- توحيد نفسية الطفل حتى لا تستحوذ عليه طوائف الأمة المختلفة، ولتحقيق كل هذا يجب العدول عن التربية التقليدية التي كانت تعتمد على الكتب والحفظ.

ومن أجل ذلك ناد "ديوي" إلى التربية عن طريق النشاط والمشاركة بين التلاميذ لذلك نادى بضرورة اعتماد المدرسة على نشاط التلاميذ وشاركهم في العمل حتى تكون المدرسة صورة مصغرة عن الحياة الاجتماعية وحتى تكون للعلوم المختلة معنى واقعي مستمد من الحياة وليست مجرد نظريات تقرأ في الكتب وتحفظ دون أن يعرف ما صلتها بالحياة الاجتماعية .

6-4- تعريف الفلسفة البراغماتية: اسم مشتق من لفظ "براغما" ومعناه "العمل" وهي مذهب فلسفي

يقر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، والفكرة الناجحة هي التي تحققها التجربة ونتائجها، فالبراغماتية فلسفة تعبر عن مزاج العالم الجديد المعروف في أمريكا وهي ثمرة التفاعل بين الأفكار التي حملها المهاجرون الاوربيون إلى أمريكا وبين البلدان الجديدة التي أنشأوها حيث قاموا

باستغلال جميع الموارد الموجودة تحت ايديهم لكي تيسر لهم عيشة رغدة؛ فقاموا بالعمل والكفاح وحل المشكلات بواسطة ثلاث طرق: - العقل، - الحيلة، - المحاولة (المولى، 2019، ص62).

6-5- العوامل التي اثرت في الفلسفة البراجماتية: تعتبر النظرية البراجماتية (التقدمية) من أهم الفلسفات التي ميزت القرن العشرين بزعماء المربين الامريكين و الاوروبيين المقلدين وهذا راجع لمجموعة عوامل هي:

- التشجيع المادي للبحث العملي في أمريكا من طرف المؤسسات الحكومية والاهلية وهذا يظهر في المجالات وكتب والمقالات التربوية .
- ما يمتاز به المربون الامريكان من رفض للتقاليد وحب صادق للتجربة والبحث العملي.
- اللامركزية في التعليم التي تمتاز بها المقاطعات الامريكية والمتمثلة في الحرية في تنظيم شروط التعليم والمناهج الدراسية في كل مقاطعة حسب ظروفها وحاجاتها دون تدخل للسلطة.
- تتمشى النظرية التربوية الامريكية مع نتائج الابحاث النفسية والاجتماعية ومع مبادئ الديمقراطية ومع متطلبات المجتمع الصناعي (صبحي، 2018، ص77).

6-6- الانتقادات التي وجهت إلى الفلسفة البراجماتية:

- تركز البراجماتية على المتعلم وتعدده المحور الاساسي في بناء المنهج وتنفيذه وترفض الاتجاهات التقليدية التي اتخذت المادة الدراسية محورا لها في بناء المنهج وتنفيذه، وترفض البراجماتية التحديد المسبق للمادة العلمية وترفض التخطيط للعملية التعليمية ومراحلها.
- تؤكد الخبرة الذاتية للفرد بوصفها وسيلة لمعرفة العالم الخارجي والتعامل معه، وترى أن مفهوم الصدق يطابق مفهوم النجاح، والفاعلية تطابق المنفعة، فكل ما يحقق فائدة عملية ويؤدي إلى تحقيق أهداف الفرد صادقا وصحيا.
- تؤكد النمو الثقافي للفرد بحكم العوامل الوراثية الحتمية والبيولوجية، وتتنظر إلى أهمية التراكم الكمي للخبرات الفردية في تكوين الشخصية.
- لا تنقيد التربية البراجماتية بالمعايير الروحية فليس في رأيها وجود سابق للقيم والمعايير الروحية، ولكنها تنشأ في أثناء القيام بالتجارب الناجحة وتتولد في أثناء حل المشكلات المتنوعة، وترى أن الخبرة الذاتية للفرد والنجاح الفردي هما الأساس للأخلاق وليس تراكم التراث الثقافي للإنسانية، فهي بذلك تؤكد على التنافس وتنمي الفردية والنجاح الفردي والبقاء للأقوى.

- النظرية البراجماتية تركز على الجانب العملي لعملية التعليم فإن نشاط المتعلم وفاعليته في النشاط والمشروعات والوحدات التي خططها المتعلم وينفذها، فهي بذلك تقدمه للمعرفة بدلا من أن تقدم المعرفة له، وهذا سيؤدي إلى تحطيم التنظيم المنطقي للمادة العلمية، فضلا عن أنها لا وتقدم للتلاميذ إلا المعلومات الجزئية والسطحية ذات الهدف النفعي مما يؤدي إلى ضعف المستوى العلمي للتلاميذ.
- يمثل دور المعلم البرجماتي في النصح والاستشارة وتنظيم ظروف الخبرة والامكانات التي تساعد على تعلم الفرد، وهذا يعني إهمال الكثير من طاقات المعلم وإمكاناته وإبداعاته لأنه عنصر فاعل في العملية التعليمية مما يكسب العملية التربوية قدرة على بناء المتعلم وتعليمه.
- إن هذه النظرية ما هي إلا تعبير عن واقع المجتمع الأمريكي وتطوره الاقتصادي والاجتماعي والعلمي وتقدمه الصناعي، وهي محور القيم الحضارية والاجتماعية التي تؤكد الريح والنجاح، ونمو الروح الفردية والنزعة العلمية والواقعية والنفعية معبرة عن ازدهار الرأسمالية وقوة البرجوازية.